أصنـــام لم تغادر المصهر

المحرر الأدبي

كانت تماثيل الرئيس المخلوع تعد بالمئات و تتوزع بين كل زوايا البلد المترامي الأطراف، وكانت هذه الظاهرة قد تفشت في السنوات الأخيرة من حكم الرئيس المخلوع فامتلأت شوارع وساحات معظم المدن والقرى ولكن الظاهرة تركزت بوضوح في العاصمة بغداد.

ازدادت الحاجة لدى السلطات السابقة إلى اقامة مصهر خاص بتماثيل الرئيس. حتى قيل إنه لم يكن مصهرا واحدا، بل تعددت المصانع وتنوعت حسب الاختصاص.

واشترك العديد من النحاتين في ادامة هذه الظاهرة ، حتى ان بعضاً منهم كان يتطوع لإبراز طاقاته ومهاراته ليشكل تمايزا عن منافسيه، وكان هؤلاء يتقاضون مبالغ سخية وكبيرة من أزلام السلطة الثقافية لصدام، وكان ديوان رئاسة صدام الجهة التي تتعامل مع هؤلاء بالتنسيق مع وزارة الثقافة المقبورة، وقد التقت (المدى الثقافي) قبل ايام مجموعة من النحاتين ابدوا تذمرهم وانزعاجهم من بقاء هذه التماثيل الى الان في مصهر وزارة الثقافة لكن من المفارقات المضحكة والمبكية هي ان بعض النحاتين ممن اقاموا تلك التماثيل لا يزال يتقاضى أجوره المتبقية في ذمة الدولة السابقة.

تشغل هذه التماثيل اكبر قاعات المصهر ويكون حجم كل منها بين ٧٠٠ الى ٨٠٠ كغم، حاولت معرفة صحة الخبر فاتصلت ببعض الفنانين واكدوا لي ان هذه التماثيل تشغل القاعات الكبيرة من المصهر، حتى ان الفنانين الذين اقاموا تلك الأصنام يرفضون اخلاء القاعات بدعوى انهم استأجروها من دائرة الشؤون الهندسية التابعة لديوان الرئاسة السابق. هل يمكن ان يتخيل القارئ ان هؤلاء الفنانين يمتنعون عن اخلاء قاعات المصهر ويطالبون بما تبقى من أجورهم ثمنا لصنعهم تلك التماثيل ولكن لا ندري لم لا تحسم الجهات المسؤولة مشكلة بقاء هذه الاصنام، وتتردد في صهر جثث الدكتاتور، او اقامة معرض لها ، فمن حق التاريخ العراقي المعاصر ان يحتفظ ببعض هذه التماثيل للذكرى، ولكن من المفجع الغريب في هذا الظرف العصيب ان تستمر الدولة بتسديد مبالغ مالية عن صنعها فنحن في أمس الحاجة الى تلك الاموال وليتوقف هؤلاء عن المطالبة بدعوى ان حقوقهم بقيت في ذمة الدولة السابقة. وللتخلص من هذه المشكلة نقترح انشاء معرض لهذه التماثيل يتضمن كل ما له صلة ببقايا القائد تحت عنوان (كي لا ننسى) أسوة بتجارب دول أخرى ، ولنوقف هؤلاء الذين يطالبون ببيعها إلى دول مجاورة عرضت دفع مبالغ كبيرة للحصول على بعضها والامر في النتيجة متروك لاصحاب القرار في هذا الشأن، ونرى ان لا نشغل بال الجهات المسؤولة بهذه القضية، فقط نأمل ان تتوقف الدولة عن تسديد مبالغ اضافية عن اجور عمل اصنام الرئيس .

هاري مارتينسون في "باقة برية"
عندما تتحول الحياة القاسية إلى قصائد جميلة!!

دمشق ـ إبراهيم حاج عبدي

تضمنت سلسلة "مكتبة نوبل" التي تصدرها دار المدى بدمشق إذ تختار للسلسة، كما يشير الاسم، إبداعات الفائزين بجائزة نوبل في الشعر والرواية، وصدرت مؤخرا مختارات شعرية للشاعر والروائي السويدي هاري مارتينسون بعنوان "باقة برية"، بترجمة د.عابد إسماعيل، تضم مجموعة من القصائد القصيرة التي تحتفي بالطبيعة وتصور التنوع المدهش لكائناتها من شجر، ونبات وطيور، وتلقي الضوء على جانب مهم من التجربة الشعرية لهذا الأديب السويدي الذي فاز بأرفع جائزة أدبية في عام ١٩٧٤ ألا وهي جائزة نوبل بعد مجموعة من الدواوين الشعرية لعل أهمها قصيدته الملحمية "أنيارا" التي صدرت عام ١٩٥٦ ، وعدد من الروايا ت التي خولته لأن يتبوأ مكانة مهمة في عالم الأدب، ومن أهمها "رحلات من دون هدف" ١٩٣٢ ،و "وداع الرأس البحري" ١٩٣٤ ،و "السفر" ١٩٣٦ ،و "الطريق إلى كلوكريك" ١٩٤٨ ،و"منظر من أعلى المرج" ١٩٦٣وغيرها، وقد عرف مارتينسون (١٩٠٤ . ١٩٧٨ م) الشهرة والنجاح، قبل فوزه بجائزة نوبل، عندما أصدر عام ١٩٣٥ روايته الشهيرة "الشوك يزهر" التي تتناول طفولة الكاتب، التي كتب أحد النقاد عنها قائلا:"بقي مارتينسون في (الشوك يزهر) شاعر الصور الغنية، وتداعيات الأفكار السريعة الفكهة، والمفاجئة، والمفردات غير المتوقعة الجديدة التي غالبا ما ابتدعت من اجل إحاطة افضل بخصوصية شخص أو انطباع عن الطبيعة".

حياة قاسية:

عاش مارتينسون حياة قاسية جدا فقد توفي والده المدمن على الكحول وهو طفل، وهاجرت والدته إلى كاليفورنيا تاركة، هاري، ابن الستة أعوام مع أطفالها الأربعة الآخرين، الأصغر منه سنا في كنف دور الرعاية العامة، وبعد سنوات من الإهانة قضاها مع مربيه، فر إلى البحر في سن الرابعة عشرة فأبحر على متن سفن كثيرة، تحت أعلام دول مختلفة، وعمل. كما يعبر هو نفسه. في أعمال كثيرة وشاقة، فحين دفع مارتينسون بأحد أعماله إلى النشر كتب سيرة موجزة ومختصرة عن حياته وأرسلها مع العمل إلى الناشر الذي فوجئ بما قرأ:" هاري مارتينسون المولود عام ١٩٠٤ ابن ربان باخرة رحلات طويلة، فَقَد أبويه منذ طفولته الأولى، واصبح ربيب البلدية. وبعد عدد كبير من مرات الهرب، والمشكلات التربوية التحق بالعمل في عمر الرابعة عشرة على متن باخرة، وركب البحر بعد ذلك كبحار مبتدئ، ووقاد، وأنباري، وطاه على متن ثمانية عشر مركبا، وتاه أحيانا كصعلوك في المرافئ، واجتاز متشردا كيلو مترات في جزر الهند، والقارة الأوربية، وأمريكا اللاتينية. ومارس فضلا عن ذلك حشدا من المهن: ممدد خطوط حديدية، عامل مزرعة، بائع جرائد، وعمل برهة في المسلخ، وراعيا في الأرجنتين. لم ينجز دراسات تأهيلية، غير المدرسة الابتدائية ثم مدرسة الحياة القاسية".

ومن مدرسة الحياة القاسية هذه استطاع مارتينسون أن يجد لنفسه موقعا بين مشاهير الأدب، وأن يبدع، ويقدم إنتاجا أدبيا متميزا توخى فيه الصدق الممزوج بتقنية أسلوبية جميلة تهدف إلى التنديد بموت الضمير الإنساني، والانتصار لقيم الحب، والتسامح، والحنان وهي قيم كان يفتقدها الكاتب في طفولته، وصباه فراح يعيد إنتاجها في نصه الشعري والروائي ليقدم للآخرين دروسا في التواضع، والصدق، ومغزى الألم، ورائحة الحرمان، ومذاق الانكسار عبر تدوين وتوثيق الحياة الصاخبة، والبائسة التي عاشها، الجديرة بان تكتب من جديد على شكل كتابة أدبية رفيعة المستوى.

التعلق بالطبيعة:

تعلق مارتينسون بالطبيعة، ولعل هذا النزوع يتبدى أكثر ما يتبدى في مختاراته هذه "باقة برية" ففي هذه القصائد يشعر المرء لدى قراءتها وكأنه يسير في بيئة ريفية جميلة مليئة بالأزهار، والأطيار، وجداول المياه، يسمع حفيف الشجر، وزقزقة الطيور، وخرير المياه، وتمتد أمام أبصاره مساحات واسعة من المروج الندية، والحقول الخضر، وتتبدل فصول الطبيعة، فهذه المختارات تحفل بمفردات الطبيعة وكائناتها، وألوانها، وأصواتها، ويشير لارس جيلينستين إلى أن مارتينسون يشبه كثيرا عالِم النبات الشهيرمن حيث "براعته الأصيلة والعميقة، وتيقظه المرهف غير التقليدي، وتماهيه الحنون، اللطيف والهادئ مع شكل، وهيئة كل شيء حي" فمن أمتار مربعة قليلة لمشهد طبيعي، يراقبه ويدرسه، يطور الشاعر منظورا كونيا أوسع، وفلسفة رحبة للحياة.

وبتواضع جم يقدم مارتينسون تعريفا لما يسميه بـ"كاتب الطبيعة" بالقول"إنه الفنان القادر على التعبير عن حقائق بسيطة قديمة تجعلها تبدو جديدة. يمكنه أن يقول بان العشب أخضر، وأن الطير يغني، وأن الشمس تتلألأ فوق المياه.لتحقيق ذلك يحتاج الكاتب إلى الصبر، والحساسية، والرغبة، والى المقدرة على نقل الذات إلى حالة خاصة من الهدوء الذهني الصافي في كل مرة يريد أن يحقق تواصلا فنيا وتحليلا مع الظواهر الطبيعية".

ينجح مارتينسون من خلال هذه القصائد، في تصوير ملامح الطبيعة في بلاده السويد، ويبرع في استحضار البيئة المحلية بكل زخمها ومناخاتها فهو لا يجنح كثيرا مع الخيال بل يكتب بواقعية سلسة وبسيطة وشديدة الوضوح، ولعل ما يميز قصائده تلك اللغة النابضة بالحياة والتي تحاول أن ترسم بصدق حالته النفسية القلقة والمضطربة، فهو يقدم صورة للطبيعة من خلال منظوره الذاتي إذ يسبغ على المشهد الماثل أمامه شيئا من روحه الكئيبة والقلقة فتبدو الطبيعة وكأنها تواسي الشاعر الذي لا يهمل كل ما تقع عليه عينه من النبات، والحيوان، والدروب، ولون الفصول، وحركة الطبيعة المتقلبة، وبرغم غلالة الحزن هذه التي تغلف نبرة القصيدة لديه إلا أنها لا تفتقر إلى الشاعرية، والرومانسية، والى تلك الغنائية العذبة التي تميز معظم القصائد.

وحسب مارتينسون لا توجد حدود فاصلة بين وصف الطبيعة والأدب المحض :"إن اللقاء بالطبيعة هو اللقاء بالحياة نفسها وبالوجود الصرف"، وفي قصائده هذه يستنهض مارتينسون الحواس جميعا: فالأوراق "ترمش على الأشجار"، والإوزة تشق طريقها عبر "المخمل المتخثر للمستنقع"، في حين أن الفراشات"بوشاحاتها المشرقية المضيئة" تصيخ السمع لأشعة القمر، والثوب الطويل لجلد الأفعى"يشع أبيض في الغابة"، و"صوت الربيع يسمع في الحقول".

يقول ويليام جي سميث في مقدمة هذه المختارات بان قصائد مارتينسون "تتحلى بلطف لغوي، بهي ومثير.إنها قصائد تنزلق وفق سجية مفرداتها، مثل سفينة تمخر عباب بحر هادئ. وتشعر أن الأشياء حية ومرنة وعطرة مثل عشب ينام تحت الماء"، ولعل هذا الإخلاص العميق للطبيعة نابع من الحياة المريرة التي عاشها مارتينسون مع البشر الذين عاملوه بازدراء فاختار الطبيعة ملاذا آمنا إذ لا يغيب عن باله أن الأشياء في الطبيعة، صغيرها وكبيرها، تتفاعل وتتناغم و"هذا هو السبب الذي يجعل المرء يشعر بالأمان فيها" كما يعبر مارتينسون الذي يطلق صيحة موجعة وبليغة في إحدى القصائد:"ما أجمل أن يستنشق المرء عطرك المنعش، أيتها الأرض"!

باقة برية

مضمومةً في باقة،
ترتجفُ الزهور ذاتُ الأجراسِ الزرق،
تحاول أن تقتحم نظرةَ عينك المفتوحة الساهمة،
حيث الخريفُ لا يزال هنا، جافاً ومملوءاً بالبذار.
أيامٌ مشعةٌ، جافةٌ وطويلةٌ، مع ريح شمسية لاذعة.
من العشَب النحيل المنساب كالشَعر،
تتساقط ندفٌ من البذور.
استيقظي، فتاتي الحالمة، يا ذات العينين الواسعتين،
وعودي إلى هنا قبل أن يحلّ الخريف
ويهيمن على الأنحاء!

أغنية المرج

مرجٌ مزهرٌ لا يمكن وصفه
إلا من خلال فراشاته،
وليس ثمة من ينشدُ له بأفضلَ
ما يفعل نحله.
لاشيء يمكن أن يتذوق حتى الثمالة
بريق آلاف الأجنحة
ويفهم بالضبط أغنية النحل
سوى تلك الجنيّات
اللواتي، منذ الأزل، درّبن أنفسهنّ
على الإصغاء.

حكايـة القطـــار

نزار عباس

في السجن، وقبل ان يخرج بليلة واحدة، التقاه، عانقه، وبعد عبارات مليئة بلوعة الفراق، بعد صحبة طويلة، قال له: "أسمع، ستخرج من السجن الصغير، لتدخل السجن الكبير"، وقال له أيضاً: "لا يشغلك شيء عن هموم الوطن".

قال لنفسه: "محمد المحمود، رجل كبير، ولكن مشكلته، انه يحب العبارات الجاهزة والوصايا!"، أبتسم، وهو ينظر إليه، ثم يبتعد عنه ليودع بقية الأصدقاء.

في "السجن الكبير" وجد العائلة الفقيرة، والغلاء، والبطالة، وبصعوبة وجد عملاً، كاتباً للحسابات في شركة صغيرة، تبيع أدوات كهربائية بالتقسيط، وكانت السنوات تمر، والعمل من الصباح إلى المساء يهد قواه، والارقام أتلفت عينيه، ولكنه يجد راحة صغيرة، حين يخرج بعد انتهاء العمل، ليدخل الحانة "حانة الصفاء"، ليتناول كأسين أو ثلاثاً، فيتخدر قليلاً، ثم يذهب إلى البيت، ليأكل لقمة وينام.

واستمر اعواماً على هذه الحالة.

في تلك الحانة، التقى ذات ليلة، باحد رفاق السجن، الذي أخبره بأن محمد المحمود قد خرج قبل انتهاء مدته، وانه سلم كل ما يعرف.. ابتسم بألم، وقال لنفسه: "أنها القصة التي لا تنتهي، ها هو القطار يتوقف مرة أخرى!".

لعن الساعة التي ألتقى فيها بالمحمود، فقد كلفته أجمل سنوات العمر، طلب كأساً أخرى، ثم خرج يجر رجليه في شوارع المدينة التي حلم يوماً بان يحيلها إلى جنة وارفة.

بعد أيام من هذا اللقاء، وحين رفع رأسه عن دفتر الحسابات الذي يغطي المائدة، وجد أمامه محمد المحمود، عانقه ببرود واضح، ثم دعاه للجلوس.

قال المحمود بعد ثرثرة عن أيام السجن" "ان صفحة قد طويت، وعلينا ان نعمل من جديد، فهل أنت على استعداد؟".

استرجع ما سمعه عنه، وتساءل مع نفسه: "أهو فخ جديد؟ أم ان ما سمعه كان مجرد أكاذيب؟".

نظر إليه بتمعن، كأنه يراه للمرة الاولى، كأنه يريد ان يعرف الحقيقة، ولكن هل تهمه هذه الحقيقة؟

ألتفت إلى ناحية الشارع الذي يضج بالناس، والذي يفصله زجاج الواجهة الرقيق، وأشار بيده إلى المارة، وقال: "لستُ على استعداد لتسليم هؤلاء"...

قال المحمود: لم أفهم

أجابه: لست أقوى منك، وكنت مثلي الاعلى".

أحنى المحمود رأسه قليلاً، وقال بصوت منخفض: "للجسد حدود للتحمل!".

أجابه: "أستطيع انا أيضاً أن اكرر هذه العبارة.. ثم أذا كان الأمر كذلك فلماذا العودة؟".

رفع المحمود رأسه، واضعاً ابتسامة على وجهه وقال: "سمعت أنك ترتاد حانة الصفاء!".

قال: "اجل، كل يوم، أدعوك هذه الليلة إلى كأس فيها".

خرجا معاً، وكان الليل يطبق على المدينة.

في الحانة تحدثا طويلاً عن السجن الكبير والصغير، وأضاف إليه سجن العائلة، ثم افترقا في النهاية، كصديقين قديمين.

انهما قدما كل ما يستطيعانه.
وان ما قاله احد الرواد يبقى صحيحاً: "ان القطار يتجه إلى أمام، ويواصل السير ولو نزل منه هذا الراكب أو ذاك، في هذه المحطة أو تلك!".

رحيل فاروق خورشيد
آخر مستكشفي أحلام الإنسان

باسم عبد الحميد حمودي

في التاسع عشر من كانون الثاني ٢٠٠٥ غادرنا رجل رائع كرس حياته لدراسة التراث الشعبي العربي والكتابة فيه ذلك هو الأستاذ فاروق خورشيد رئيس اتحاد كتاب مصر عن عمر (٧٧ عاماً) والأستاذ في المعهد العالي للفنون الشعبية في جامعة القاهرة ومنتج أكثر من عشرين عملاً مرموقاً في السيرة الشعبية ومنها موسوعته عنها التي بدأت بالجزء الأول (عصر التجميع) وانتهت بـ(عصر التدوين).

عرف فاروق خورشيد في الأوساط الإعلامية مذيعاً مرموقاً وانتهى عمله الإذاعي بعد تقاعده عنه مديراً لإذاعة الشعب بالقاهرة ثم قدم إلى العراق مدة من الوقت في السبعينيات بصفته خبيراً في معهد التدريب الإذاعي مع سعد لبيب وآخرين ولكنه غادر بغداد سريعاً لاصطدامه ببيروقراطية الإدارة وعدم تلبيتها أفكاره في الطرح الحر للموضوعات وعدم امتلاك المنتج الإذاعي (معد البرنامج) حريته وعاد إلى معهده الأثير ليدرس أجيالاً جديدة من الفولكلوريين العرب المتخصصين في ذلك المعهد الذي أسسه هو والأستاذ الرائد د. عبد الحميد يونس وصفوت كمال (مد الله في عمره) وسائر الباحثين والأساتذة.

كتب فاروق خورشيد رائعته الروائية (ثأر ابن عنترة) المعتمدة على السيرة الشعبية لعنترة بن شداد ولكنه استوحى من السيرة التفاصيل غير التاريخية التي حرك بها الشخوص باعتبار أن البطل الملحمي لا يحوز نجوميته ولا يحقق شروطه إلا بالاعتماد على الآخرين الذين هم أهله وشعبه وأنصاره، و(هؤلاء) هنا هم عبس وذبيان وسائر المقهورين، وبذلك حقق خورشيد في روايته هذه فرادة خاصة استناداً إلى وعيه بحركة الجماهير واهتمامه بالبطل الشعبي صورة لمجتمعه وتجسيداً لها.

وكان نتاجه موسوعة السيرة الشعبية العربية بكل تفاصيلها إعادة قراءة جديدة لأصول الملاحم والسير الشعبية العربية باعتبارها تمثلات أجيال غابرة بحثت عن الحقيقة العارية وانتجتها على هيئة ابطال وشخوص قاومت المظالم بكل أشكالها وسعت إلى تحقيق العدالة على الأرض عبر الاعتراف بالعاطفة الإنسانية (قيس وليلى - عنتر وعبلة - المياسة والمقداد.. الخ) والاعتراف بتجاوز التراتبية الاجتماعية التي فرضتها السنن والأعراف المتراكمة.

كانت بحوث خورشيد في السيرة الشعبية وأساطيرها وحكاياتها نتاجاً جديداً تعريفياً بالنتاج الدرامي العربي بكل أشكاله وصوره موازية لجهد دريني خشبة بالتعريف بالملاحم والأساطير اليونانية والرومانية التي قدمها مع الأليادة والأوديسة.

ويعد فاروق خورشيد واحداً من مؤسسي تيار البحث العلمي في التراث الشعبي منذ خمسينيات القرن الماضي في زمن لم يكن ينظر إلى الفولكلور فيه إلا كعمل خارج البنيان الأدبي ولم يكن جهد العمل المؤثر فيه يلقى استحسان الكثير من المثقفين العصريين والتقليديين لكن خورشيد ومعه عبد الحميد يونس وفوزي القنديل وسواهم استطاعوا وضع اللبنات العلمية الأولى لدراسة هذا الجهد الفكري الذي ابدعته الأجيال السابقة فناً وأدباً.

وسيظل اسم فاروق خورشيد لامعاً برغم رحيله المؤسي. لأنه أسس وأعطى وضحى من أجل ثقافة الإنسان وأحلامه.

أربع مئة عام
على دون كيـــشـــوت

تحتفل اسبانيا اليوم بمرور ٤٠٠ عام على ميلاد رواية دون كيشوت التي تعتبر الرواية الاولى من حيث القيمة وواحدة من اكثر الكتب مبيعا على الاطلاق بعد الانجيل.

وتستعد الاسواق في اسبانيا وامريكا الجنوبية لطرح منتجات تتعلق بالرواية وتتراوح بين نسخة من الرواية مخصصة للاطفال وموسوعة عن مؤلفها ميغيل دو ثيربانتس.

وتقول كاتيا ادلر مراسلة بي بي سي في مدريد ان بلدة صغيرة في جنوب اسبانيا بدأت تستعد للاحتفال الان بالكشف عن الغموض الذي استمر اربعة قرون بشأن دون كيشوت.

وتقول ادلر "في قرية لا أتذكر اسمها في لامنكا.. كانت هذه هي الكلمات الاولي على صفحات أول رواية علي الإطلاق تكتب في العصر الحديث تلك الرواية التي جذبت القراء إليها عبر قرون طويلة نظرا لما اتسمت به من غموض وإبهام.

إلا ان اللغز الذي أحيط باسم المكان الذي عاش فيه دون كيشوت قد تم حله.

بدأت مغامرات دون كيشوت عندما قرر رجل ريفي متواضع أن يبعث أسطورة الفارس الرحالة. لكن هذا الفارس اعتلى حصانا هرما اسمه روزينانتي ومن ثم بدأ رحلته في تصحيح الأوضاع المقلوبة ومحاربة قوى الشر في العالم.

ولكن في حماسته لتطهير العالم استبدل دون كيشوت العمالقة بطواحين الهواء والقلاع بالأكواخ وضحايا الطغيان بالمجرمين العاديين."

وقام عشرة من الأكاديميين في مدريد بتشكيل فريق عمل يضم أساتذة في العلاقات الدولية والجغرافيا والتاريخ والرياضيات وعلوم تحليل المعلومات وعلم اللغة وأمضوا عامين في تتبع مغامرات دون كيشوت التي تبدو عبثية علي خريطة لمنطقة وسط أسبانيا.

واخيرا توصلوا إلي معرفة اسم مسقط رأس دون كيشوت أو المكان الذي عاش فيه وهو فيلانيوفا دي لوس اينفانتي التي تبعد مئتين وخمسة وعشرين كيلو مترا عن العاصمة مدريد. ويتم الآن تجهيز القرية الوادعة لزيارة السائحين القادمين من كل مكان.

وتشهد أسبانيا وتشيلي والأرجنتين أعلى نسب لمبيعات رواية دون كيشوت. كما يتم توزيعها الآن علي ثلاثة آلاف وخمس مئة مركز محلي في المكسيك. وقد نشرت رواية دون كيشوت للمرة الأولى بالانكليزية في عام ١٦١٢ وبالفرنسية بعد ذلك بسنتين.